منذ بضع سنين لأن يعقد صلحاً دائماً مع روسيا أصبحت روسيا هي التي تسعى هذه المرة لعقد مثل هذه المعاهدة. ولذلك أجاب سيجسموند: « ردوا لنا مدينة سمولنسك نتعاقد معكم ونمضي لقتال المسلمين » .

إلا ان إيڤان كان أبعد ما يكون عن التفكير بإعادة سمولنسك التي كان الروس قد انتزعوها من بولونيا في القرن السابق ، بل إنه كان يفكر دائما بالاستيلاء على پودونيا وأوكرانيا اللتين كانتا روسيتين من حيث اللغة والعادات وتقعان تحت النير البولوني ، وهكذا لم تكن إعادة سمولنسك موضوعاً للمفاوضة. وفي السادس عشر من أيلول سبتمبر ١٥٥٩ اشترك سيجسموند في حرب ليڤونيا آخذاً على عاتقه حماية نظام الفرسان التيوتون وممتلكاتهم والوقوف الى جانبهم في وجه روسيا . وبعظمة بالغة كتب الى إيڤان بأن يخلي ليڤونيا ويتخلى عن كل غزو جديد يقوم به في أراضيها لأن ليڤونيا أصبحت تحت حمايته .

وكان دانيال أرداتشيف قد أرسل لمواجهة خان القرم يساعده الأمير فيشنيفتسكي فأحرز سلسلة من الانتصارات المدوية خلال صيف عام ١٥٥٩ . وسمحت هذه الحملة لليڤونيا بأن تتنفس لأن الجيش الروسي كان مشغولاً جداً عنها في ذلك الصيف . ولو ان الروس لم يسحقوا القبيلة التترية لتمكنت هذه ان تحطم العوائق وان تصل الى موسكو وتجعلها عرضة للانتهاب . فقد كان التتر في كل الحالات يشكلون خطراً أكبر بكثير مما يشكله البولونيين والليتوانيون ، فهؤلاء الاخيرون لم يهددوا العاصمة الروسية قط .

وفي أثناء ذلك اعتقد كيتلر بان البولونيين سيحركون قواتهم لمواجهة الروس فألقى الحصار على دوربات والحصون الأخرى التي كانت في قبضة الروس . وأدت هذه المناورة إلى عودة القوات الروسية الرئيسية إلى ليڤونيا وهي تحمل سيف الانتقام . وصار اندري كوربسكي ودانيال ارداتشيف طوال صيف عام ١٥٦٠ يلاحقان فرسان التيوتون من قصر الى قصر مجتاحين البلاد وجاعلين قوة ليڤونيا تحت الأقدام . ولم يقم